مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

اللغـــة والفكر نمـــاذج تطبيقيـــة

د / حمدي بخيت عمران
أستاذ علم اللغة المساعد بقسم اللغة العربية - كلية الآداب بقنا

اللغـــة والفكر
نمـــــاذج تطبيقيـــة

د / حمدي بخيت عمران
أستاذ علم اللغة المساعد
في كلية الآداب بقنا

توطئـة :

الدين واللغة متلازمان ومتكاملان " يحكى التاريخ - والواقع يؤيده - أن الدين هو المصدر الخصب الذي يمد اللغة بأسباب النمو والرقى وعوامل الازدهار والانتشار ؛ وهو الذي يجدد من دمائها ، ويقوى أعوادها ، ويمنحها طاقة المقاومة بكل ما يواجهها عبر الزمن ؛ ومن ثَمَّ يضمن لها الاستمرارية والبقاء في نضج وتكامل فائقين ، واللغة من جانبها تحمل هذا الدين على جناحيها : تنشره وتفسره وتوضحه ، وتذيع مبادئه وقيمه التي تجمع الناس على درب من السلوك قويم ، يضمن انتظامهم في صف واحد روحًا وسلوكًا " [1] .

ونظرًا لهذه الأهمية البالغة للغة اشترطها علماء الشريعة للمفسر والمجتهد يقول السيوطي (المتوفى ٩١١ هـ) عن شروط المفسر : " ومنهم من قال : يجوز تفسيره لمن كان جامعًا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها ؛ وهى خمسة عشر علمًا :

أحدها : اللغة ؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب ... ولا يكفى في حقه معرفة اليسير منها ؛ فقد يكون اللفظ مشتركًا ، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر .

الثاني : النحو ؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلابد من اعتباره ....

الثالث : التصريف ؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ ...

الرابع : الاشتقاق ؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما ؛ كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح ؟

---

(١) علم اللغة الاجتماعي مدخل - للدكتور / كمال محمد بشر ص ٢٧٠ .

الخامس والسادس والسابع : المعاني والبيان والبديع ؛ لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام ... " [(١)] .

ويقول الشوكاني (المتوفى ١٢٥٥ هـ) عن شروط المجتهد : " ... ***الشرط الثالث*** : أن يكون عالمًا بلسان العرب بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب ونحوه ، ولا يشترط أن يكون حافظًا لها عن ظهر قلب ، بل المعتبر أن يكون متمكنًا من استخراجها من مؤلفات الأئمة المشتغلين بذلك ... وإنما يتمكن من معرفة معانيها وخواص تراكيبها وما اشتملت عليه من لطائف المزايا - من كان عالمًا بعلم النحو والصرف والمعاني والبيان حتى يثبت له في كل فن من هذه ملكة يستحضر بها كل ما يحتاج إليه عند وروده عليه ، فإنه عند ذلك ينظر في الدليل نظرًا صحيحًا ، ويستخرج منه الأحكام استخراجًا قويًّا " [(٢)] .

وقد جعل الإمام الغزالي (المتوفى ٥٠٥ هـ) اللغة آلة العلوم الشرعية يقول في تقسيمه العلوم الشرعية : " .... الضرب الثالث : المقدمات ؛ وهى التي تجرى منه مجرى الآلات ؛ كعلم اللغة والنحو ؛ فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع ؛ إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب ، وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة ، فيصير تعلم تلك اللغة آلة " [(٣)] .

هذا ، وسأتناول في هذا البحث عدة نماذج شرعية كان للغة فيها تأثير كبير على الحكم الشرعي ؛ وكان ذلك بالتفسير اللغوي غير الصحيح ، أو التفسير اللغوي والإعراب النحوي غير الصحيحين ، أو الأخذ بظاهر النصوص دون مراعاة للمجاز وغيره ، أو الاختلاف في المعنى اللغوي المقصود الذي يؤدى إلى توجيهات إعرابية مختلفة .

أولاً : تفسير لغوى غير صحيح أنبنى عليه حكم شرعي :

من أمثلة هذا النوع ما ذكره الإمام أبو الأعلى المودودى (المتوفى ١٣٩٩ هـ) بأن المصطلحات الأربعة (الإله والرب والعبادة والدين) قد تغير مفهومها عند

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن ٤ / ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٢) إرشاد الفحول ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، وانظر : المستصفى للإمام الغزالي ٢ / ٣٥١ .

(٣) إحياء علوم الدين ١ / ٢٩ .

المتأخرين ، وصارت لا تعنى ما كانت تعنيه في صدر الإسلام ، ويذكر السبب الحقيقي لهذا الفهم الخطأ فيقول : " يدلنا النظر في عصر الجاهلية ، وما تبعه من عصور الإسلام أنه لما نزل القرآن في العرب ، وعرض على الناطقين بالضاد كان حينئذ يعرف كل امرئ منهم ما معنى الإله ، وما المراد بالرب ؛ لأن كلمتي الإله والرب كانتا مستعملتين في كلامهم من ذي قبل ، وكانوا يحيطون علمًا بجميع المعاني التي تطلقان عليها ، ومن ثم إذا قيل لهم : لا إله إلا الله ، ولا رب سواه ، ولا شريك له في ألوهيته وربوبيته ، أدركوا ما دعوا إليه تمامًا ، وتبين لهم من غير ما لبس ولا إبهام أي شيء هو الذي قد نفاه القائل ، ومنع غير الله أن يوصف به ، وأي شيء قد خصه وأخلصه لله تعالى ؛ فالذين كفروا إنما كفروا عن بينة ومعرفة بكل ما يبطله وينعى عليه كفره بألوهية غير الله وربوبيته ، وكذلك من آمن فقد آمن عن بينة وبصيرة بكل ما يوجب قبولُ تلك العقيدة الأخذ به أو الانسلاخ عنه .

وكذلك كانت كلمتا العبادة والدين شائعتين في لغتهم ، وكانوا يعلمون ما العبد ، وما الحال التي يعبر عنها بالعبودية ، وما هو المنهاج العملي الذي يطلق عليه اسم العبادة ، وما مغزى الدين ، وما هي المعاني التي تشتمل عليها هذه الكلمة ، ومن ثم لما قيل لهم : (أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل ٣٦) ، وادخلوا في دين الله منقطعين عن الأديان كلها ما أخطئوا في فهم هذه الدعوة التي جاء بها القرآن ، وما أن قرعت كلماتها أسماعهم حتى تبينوا : أي نوع من التغيير في نظام حياتهم جاءت تطالبهم به تلك الدعوة .

ولكنه في القرون التي تلت ذلك العصر الزاهر جعلت تتبدل المعاني الأصلية الصحيحة لجميع تلك الكلمات ، تلك المعاني التي كانت شائعة بين القوم عصر نزول القرآن ، حتى أخذت تضيق كل كلمة من تلكم الكلمات الأربع عما كانت تتسع له ، وتحيط به من قبل ، وعادت منحصرة في معانٍ ضيقة محدودة ومخصوصة بمدلولات غامضة ومستبهمة ؛ وذلك لسببين اثنين :

الأول : قلة الذوق العربي السليم ، ونضوب معين العربية الخالصة في العصور المتأخرة.

والثاني : أن الذين ولدوا في المجتمع الإسلامي ، ونشئوا فيه لم يكن قد بقى لهم من معاني كلمات الإله والرب والعبادة والدين ، ما كان شائعًا في المجتمع الجاهلي وقت نزول القرآن ؛ ولأجل هذين السببين أصبح اللغويون والمفسرون في العصور المتأخرة يشرحون أكثر كلمات القرآن في معاجم اللغة وكتب التفسير

بالمعاني التي فهمها المتأخرون من المسلمين بدلاً من معانيها اللغوية الأصلية .

ودونك من ذلك أمثلة :

أن كلمة (الإله) جعلوها كأنها مترادفة مع كلمة الأصنام ، وكلمة (الرب) جعلوها مترادفة مع الذى يربى وينشئ وللذات القائمة بأمر تربية الخلق وتنشئتهم ، وكلمة (العبادة) حددوها فى معانى : التأله والتنسك والخضوع والصلاة بين يدى الله ، وكلمة

(الدين) جعلوها نظيرًا لكلمة النحلة ، وكلمة (الطاغوت) فسروها بالصنم أو الشيطان " [1] .

بعد ذكر الإمام المودودى السبب الحقيقي للفهم الخطأ في نظره خرج بنتيجة هى " أن تعذر على الناس أن يدركوا حتى [2] الغرض الحقيقي ، والمقصد الجوهري من دعوة القرآن ؛ فإذا دعاهم القرآن ألا يتخذوا من دون الله إلهًا ظنوا أنهم وفوا مطالبة القرآن حقها لما تركوا الأصنام ، واعتزلوا الأوثان ، والحال أنهم لا يزالون متشبثين بكل ما يسعه ويحيط به مفهوم الإله ماعدا الأوثان والأصنام ، وهم لا يشعرون أنهم بعملهم ذلك قد اتخذوا غير الله إلهًا ، وإذا ناداهم القرآن أن الله تعالى هو الرب فلا تتخذوا من دونه ربًا قالوا : ها نحن أولاء لا نعتقد أحدًا من دون الله مربيًا لنا ، ومتعهدًا لأمرنا ؛ وبذلك قد كملت عقيدتنا في باب التوحيد ، والواقع أنه قد أذعن أكثرهم لربوبية غير الله من حيث المعاني الأخرى التي تطلق عليها كلمة الرب غير هذا المعنى (المربى) ، وإذا خاطبهم القرآن (أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل ٣٦) ، قالوا : لا نعبد الأوثان ، ونبغض الشيطان ، ونلعنه ولا نخشع إلا لله ، فقد امتثلنا هذا الأمر القرآني أيضًا امتثالاً ، والحال أنهم لا يزالون متمسكين بأذيال الطواغيت الأخرى غير الأصنام المنحوتة من الأحجار ، وقد رخصوا سائر ضروب العبادة - اللهم إلا التأله - لغير الله ،

---

(١) المصطلحات الأربعة في القرآن لأبى الأعلى المودودى ص ٦ - ٩ .

(٢) ذكر (حتى) في هذا الموضع من الاستعمالات المحدثة التي لم تؤثر في نص لغوى صحيح ؛ وقد رأى الدكتور محمد حسن عبد العزيز (الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة ص ١٨٩) أن (حتى) في مثل هذا الموضع حرف يعبر عن الغاية ، ولا ينبنى على وجوده أثر إعرابي فيما بعده ؛ ولم يقل بهذا الرأى أحد من النحاة القدماء ، وقد رأى مجمع اللغة العربية القاهري أن (حتى) في مثل هذا الاستعمال عاطفة ، والمعطوف عليه محذوف مفهوم من المقال . في أصول اللغة ٣ / ١٣٠ .

وقل مثل ذلك في الدين ؛ فإنه لا يفهم الناس من معنى إخلاص الدين لله تعالى غير أن ينتحل المرء ما يسمونه الديانة الإسلامية ، وألا يبقى في ملة الهنادك أو اليهود أو النصارى ؛ ومن هنا يزعم كل من هو معدود من أهل الديانة الإسلامية أنه قد أخلص دينه لله ، والحق أن أغلبيتهم ممن لم يخلصوا دينهم لله تعالى من حيث المعاني الواسعة التي تشتمل عليها كلمة الدين " [1] .

وقد رتب بعض المسلمين أحكامًا على كلام الإمام المودودى السابق زعموا أنها مقتضى شريعة الله تعالى فقالوا : " إنه لما كان الناس الآن لا يعرفون حقيقة معنى كلمات (الإله والرب والعبادة والدين) فإنهم إذ يرددون شهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إنما يرددون كلامًا لا يدركون حقيقة معناه ، وهم لا ينطقون بالشهادة التي كان ينطق بها العربي حين البعثة ؛ لأن هذا كان على بينة من معنى ما كان يشهد به ويقرره ؛ ولذا كان الرسول ﷺ يقبل تلك الشهادة المعلوم مضمونها ومفهومها لمن أداها ، ويعتمدها حكمًا بإسلامه . أما الآن فإننا لا نستطيع أن نعتمد إسلام من نطق بالشهادتين ما دام لا يدرك حقيقة مفهومهما ، وواقع الحال شاهد على ذلك ؛ إذ إن كثيرًا ممن ينطقون بالشهادتين يأتون في نفس الوقت أعمالاً هي الشرك بعينه ، كما أن واقع حياة الناس يشهد بخروجهم على أحكام الدين فيما يتعلق بأنظمتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وسائر شئون حياتهم مع إصرارهم على النطق بالشهادتين ، والزعم بأنهم مسلمون ، وخلصوا من ذلك إلى أنه لا يعتبر مسلمًا تجوز معاملته على هذا الأساس ، والصلاة وراءه إلا من تأكدنا من فهمه لحقيقة معاني الشهادتين ومفهومهما " [2] .

مناقشة رأى الإمام أبى الأعلى المودودى :

ما ذكره الإمام أبو الأعلى المودودى من أن العربي وقت نزول القرآن الكريم كان يفهم المراد من الإله والرب ؛ لاستعمالهما في كلامهم ، وأنه كان يحيط علمًا بجميع المعاني التي تطلق الكلمتان عليها ، وكان يعي مفهوم الشهادتين نفيًا وإثباتًا ، وكذلك يعي المفهوم الشامل لكلمتي العبـــادة والدين - كلام غير صحيح والأدلة على ذلك ما يأتي :

---

(١) المصطلحات الأربعة في القرآن ص ٩ ، ١٠ .

(٢) دعاة لا قضاة للأستاذ حسن إسماعيل الهضيبى ص ١٩ .

(١) لقد حدث في العصر الإسلامي تغير دلالي لمجموعة من الألفاظ التي كانت مستعملة في العصر الجاهلي ، يقول ابن فارس (المتوفى ٣٩٥ هـ) : " كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله - جل ثناؤه - بالإسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، فعفي الآخر الأول ، وشُغل القوم - بعد المغاورات والتجارات وتطلّب الأرباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الإغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة - بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وبالتفقه في دين الله عز وجل - وحفظ سنن رسول الله ﷺ - مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام ؛ فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ، ونشئوا هم عليه كأن لم يكن ، وحتى تكلموا في دقائق الفقه ، وغوامض أبواب المواريث ، وغيرها من علم الشريعة ، وتأويل الوحى بما دوّن وحفظ ... فسبحان من نقل أولئك فى الزمن القريب بتوفيقه عما ألفوه ، ونشئوا عليه ، وغذوا به إلى مثل هذا ... وكل ذلك دليل على حق الإيمان ، وصحة نبوة نبينا محمد ﷺ ، فكان مما جاء في الإسلام - ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان ، وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمى المؤمن بالإطلاق مؤمنًا ، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر ، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه ، وكان الأصل من نافقاء اليربوع ، ولم يعرفوا من الفسق إلا قولهم : (فسقت الرطبة) إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه .... " [١] .

من كلام ابن فارس السابق يتضح أن المصطلحات الأربعة (الإله والرب والعبادة والدين) يفهم معناها المحدد لها كما ورد في القرآن الكريم ؛ لأنه المعنى المطالب به المسلم أن يفهمه ، والمتصفح لكتاب الله عز وجل يجده زاخرًا بالآيات الموضحة لمفهوم المصطلحات الأربعة كالآتي :

أ - الآيات المبينة لمعانى الألوهية :

(١) الصاحبى لابن فارس ص ٧٨ - ٨٤ .

من ذلك ما يأتي [1] :

- قوله تعالى : (بسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ • اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) سورة الفاتحة .

الفاتحة تعرفنا بالله عز وجل - الذي له - سبحانه - الحمد والثناء ، وهو رب العالمين ؛ أي المالك المتصرف في جميع مخلوقاته ، وهو مالك يوم الحساب يوم القيامة ، وهو الذي يعبد ، ولا يعبد سواه ، وهو المستعان والمتوكل عليه ، وهو المطلوب منه الهداية إلى ما فيه الخير والفلاح .

- وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ • الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢١ - ٢٢) .

- وقوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة ٢٨ ، ٢٩) .

- وقوله تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) (البقرة ١٠٦ ، ١٠٧) .

- وقوله تعالى : (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (البقرة ١١٧) .

وقوله تعالى : (وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ • إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة ١٦٣ ، ١٦٤) .

- وقوله تعالى : (وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (البقرة من الآية ٢١٣) .

- وقوله تعالى: (وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) (البقرة من الآية ٢١٦) .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في : دعاة لا قضاة ص ٢٠ - ٢٤ .

- وقوله تعالى : (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة ٢٥٥) .

وقوله تعالى : (لِّلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة ٢٨٤) .

- وقوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (الإخلاص ١ - ٤) .

- وقوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ • مِن شَرِّ مَا خَلَقَ • وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ • وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ • وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)(سورة الفلق) .

- وقوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ • مَلِكِ النَّاسِ • إِلَهِ النَّاسِ • مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ • الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ • مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) (سورة الناس) .

هذه آيات قليلة مما يزخر به القرآن الكريم في توضيح معنى الإلوهية مبينًا خصائصها وأبعادها وقدراتها وسلطانها ، فيها الرد على ما ادعاه الإمام المودودى من أن معاني الإلوهية قد ضاعت وتبدلت ، ولم تعد شائعة معروفة ، وأن الذين ولدوا في الإسلام وفى رحاب هذا الفيض الزاخر من آيات الله لم يبق لهم من معاني كلمات الإله والرب والعبادة والدين ما كان شائعًا معروفًا في الجاهلية قبل نزول القرآن !

ب - الآيات المبينة لمعانى كلمة الرب :

لقد أبرزت الآيات القرآنية معاني كلمة الرب سواء فيما يتعلق بالملك والتصرف ، أو التعهد بالإصلاح والتربية والتنشئة والكفالة ، أو الرقابة والسيادة والعلاء والرئاسة [1] ، من ذلك ما يأتي :

- قوله تعالى : (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن

(١) انظر : تفسير القرطبي ١ / ١١٩ ، ١٢٠ ، والصحاح (ر ب ب) ١ / ١٩٨ - ٢٠٢ ، ولسان العرب (ر ب ب) ٣ / ١٥٤٦ - ١٥٥٠ والقاموس المحيط (ر ب ب) ١ / ٧٠ ، ودعاة لا قضاة ص ٢٥ ، ٢٦ ،

قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة ٢٨٦) .

- وقوله تعالى : (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ • فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) (يونس ٣١ ، ٣٢) .

- وقوله تعالى : (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ...) (الرعد ١٦) .

- وقوله تعالى : (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء) (إبراهيم ٣٨) .

- وقوله تعالى : (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء • رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (إبراهيم ٤٠ ، ٤١) .

- وقوله تعالى : (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا • وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا • أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً) (الإسراء ٦٦ - ٦٨) .

- وقوله تعالى:(فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ • الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ • وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (الشعراء ٧٧ - ٨٠) .

- وقوله تعالى : (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (الزمر ٧) .

- وقوله تعالى : (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ • الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) (قريش ٣ ، ٤) .

ج - الآيات المبينة لمعانى كلمة العبادة :

وردت آيات كثيرة تذكر العبادة بتصريفاتها المختلفة فى القرآن الكريم ؛ وهى تدور حول العبودية والطاعة مع الخضوع والتأله والتنسك [١]

---

(١) انظر : لسان العرب (ع ب د) ٤ / ٢٧٧٦ - ٢٧٧٨ ، والقاموس المحيط (ع ب د) ١ / ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

ومن الآيات القرآنية التى جاءت بمعنى العبودية والطاعة :

- قوله تعالى : (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ • إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) (المؤمنون ٤٥ - ٤٧) .

- وقوله تعالى:(وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الشعراء ٢٢) .

والمراد بالعبادة في الآيتين : الطاعة والعبودية [1] ، ومثلهما جاء معنى العبادة في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (البقرة ١٧٢) ، وقوله تعالى : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)(المائدة ٦٠) ، وقوله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل ٣٦) ، وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى) (الزمر ١٧) .

الآيات التي جاءت بمعنى الطاعة :

من ذلك قوله تعالى : (-أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (يس ٦٠) ، وقوله تعالى : (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ • مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) الصافات ٢٢ ، ٢٣) ، وقوله تعالى : (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ • قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ • قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ • وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) (الصافات ٢٧ - ٣٠) .

الآيات التي جاءت بمعنى التأله :

من ذلك قوله تعالى : (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي) (غافر ٦٦) ، وقوله تعالى : (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا • فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) (مريم ٤٨ ، ٤٩) ، وقوله تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ • وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) (الأحقاف ٥ ، ٦) .

الآيات المبينة لمعاني كلمة الدين :

---

(١) انظر : غريب القرآن للسجستانى ص ١٣٨ ، ١٤١ .

يقول أبو الأعلى المودودى (١٣٩٩ هـ) عن كلمة الدين في العصر الجاهلي : " كان استعمال كلمة (الدين) مشوبًا بشوائب اللبس والغموض ؛ ولذلك لم يتح لها أن تكون مصطلحًا من مصطلحات نظام فكرى متين ، حتى نزل القرآن فوجد هذه الكلمة ملائمة لأغراضه فاقتناها واستعملها لمعانيه الواضحة المتعينة ، واصطنعها مصطلحًا له مخصوصًا . فأنت ترى أن كلمة الدين في القرآن الكريم تقوم مقام نظام بأكمله ، يتركب من أجزاء أربعة هي :

١ ـ الحاكمية والسلطة العليا .

٢ ـ الإطاعة والإذعان لتلك الحاكمية والسلطة .

٣ ـ النظام الفكري والعملي المتكون تحت سلطان تلك الحاكمية .

٤ ـ المكافأة التي تكافئها السلطة العليا على أتباع ذلك النظام والإخلاص له أو على التمرد عليه والعصيان له .

ويطلق القرآن كلمة الدين على معنييها الأول والثاني تارة ، وعلى المعنى الثالث أخرى ، وعلى الرابعة ثالثة ، وطورًا يستعمل كلمة الدين ويريد بها ذلك النظام الكامل بأجزائه الأربعة في آن واحد " [١] .

استعمال الدين بالمعنيين الأول والثانى :

من أمثلته قوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ • هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (غافر ٦٤ ، ٦٥) ، وقوله تعالى : (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ • وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) (الزمر ١١ ، ١٢) ، وقوله تعالى : (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي • فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الزمر ١٤ ، ١٥) ، وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) (الزمر ١٧) .

استعمال الدين بالمعنى الثالث :

من أمثلته قوله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يونس ١٠٤ ، ١٠٥) وقوله

---

(١) المصطلحات الأربعة فى القرآن ص ١١٢ ، ١١٣ .

تعالى : (إِن الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) (يوسف ٤٠) ، وقوله تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم ٣٠) ، وقوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى ٢١) .

استعمال الدين بالمعنى الرابع :

من أمثلته قوله تعالى : (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ • وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) (الذاريات ٥ ، ٦) ، وقوله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ • ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ • يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ) (الانفطار ١٧ - ١٩) ، وقوله تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ • فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ • وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) (الماعون ١ - ٣) .

استعمال الدين بالمصطلح الجامع الشامل :

ومن أمثلته قوله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) (آل عمران ١٩) ، وقوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) (المائدة ٣) ، وقوله تعالى : (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة ٢٩) ، وقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة ٣٣) ، وقوله تعالى : (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ • وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا • فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)(سورة النصر) .

(٢) عن أبى واقد الليثى قال :خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ، ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ : " الله أكبر ! إنها السنن ، قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (الأعراف ١٣٨) ، لتركبن سنن من كان قبلكم " . رواه الترمذى ، كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ح (٢١٨٠) ، وقال : حسن صحيح .

هذا الحديث دليل على أن من الصحابة من كان لا يفهم معنى الشهادتين فهمًا كاملاً ؛ ولذلك قالوا : (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) ، ولم يطلب منهم النبي أن ينطقوا بالشهادتين مرة أخرى ليجددوا إيمانهم ؛ لأنه ﷺ لم يحكم عليهم بالكفر .

(٣) عن عدى بن حاتم أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية : (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ) (التوبة ٣١) الآية ، فقلت له : إنا لسنا نعبدهم قال : (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه) ؟ فقلت : بلى ، قال : " فتلك عبادتهم " . رواه الترمذى ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة التوبة ح (٣٠٩٥) ، وحسنه الألباني في غاية المرام ١ / ١٩ ح (٦٠) .

هذا الحديث فيه دليل على أن العربي الذي كان ينطق بالشهادتين لم يكن فاهمًا لهما فهمًا كاملاً كما قال المودودى ؛ إذ خفي معنى العبادة المتمثل في الانقياد لأحكام البشر المخالفة لأمر الله على عدى بن حاتم الطائي ؛ وهو من قبيلة طيئ التي تعد من القبائل العربية التي يحتج بكلامها [١] .

(٤) قال القاضى عياض (المتوفى ٥٤٤ هـ) : " ما عرف الله تعالى من شبهه وجسمه من اليهود ، أو أجاز عليه البداء ، أو أضاف إليه الولد منهم ، أو أضاف إليه الصاحبة والولد ، وأجاز الحلول عليه ، والانتقال أو الامتزاج من النصارى ، أو وصفه مما لا يليق به ، أو أضاف إليه الشريك والمعاند فى خلقه من المجوس والثنوية ؛ فمعبودهم الذى عبدوه ليس هو الله - وإن سموه به - إذ ليس موصوفا بصفات الإله الواجبة له ..... " [٢] .

وقد قبل رسول الله ﷺ من اتصف بالصفات السابقة من اليهود أو النصارى أو المجوس بمجرد نطقهم بالشهادتين ، يقول ابن رجب الحنبلى (المتوفى ٧٩٥ هـ) : " ومن المعلوم بالضرورة أن النبى ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول فى الإسلام الشهادتين فقط ، ويعصم دمه بذلك ، ويجعله مسلمًا ؛ فقد أنكر على أسامة بن زيد قتله لمن قال : (لا إله إلا الله) لما رفع عليه السيف ، واشتد نكيره عليه [٣] ، ولم يكن النبى ﷺ يشترط على من جاءه يريد الإسلام أن يلتزم الصلاة والزكاة ... " [٤] .

---

(١) انظر : المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ١ / ٢١١ ، والاقتراح للسيوطى ص ٥٩ .

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووى ١ / ١٦٢ .

(٣) متفق عليه : رواه البخارى فى كتاب المغازى ح (٤٢٦٩) ، ومسلم فى كتاب الإيمان ح (٩٦) .

(٤) جامع العلوم والحكم ص ١٢٣ .

(٥) قبول الصحابة رضوان الله عليهم فى فتحهم لشمال أفريقيا ، وبلاد فارس وغير ذلك من البلاد غير العربية - إسلام من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، دون اشتراط لفهم الناطق بالشهادتين مضمونهما ؛ وهذا القبول من الصحابة رضوان الله عليهم دليل قاطع على أن ما قاله المودودى غير صحيح .

بعد مناقشة آراء المودودى يتبين أن آراءه التي صرح بها في مقدمة كتابه " المصطلحات الأربعة فى القرآن الكريم " غير صحيحة ، وأن الصواب هو ما فعله النبي ﷺ والصحابة الكرام من بعده واتفق عليه علماء أهل السنة والجماعة [١] ؛ وهو أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صار مسلمًا .

ثانيًا : تفسير لغوى وإعراب نحوى غير صحيح انبنى عليهما حكم شرعى :

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١ هـ) في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء) (النساء ٤٨) : " وهل المراد بالشرك هنا الأكبر أم مطلق الشرك ؟ [٢] قال بعض العلماء : إنه مطلق يشمل كل شرك ولو أصغر ؛ كالحلف بغير الله ، فإن الله لا يغفره ، أما بالنسبة لكبائر الذنوب ، كالسرقة والخمر ، فإنها تحت المشيئة ، فقد يغفرها الله ، وشيخ الإسلام ابن تيمية المحقق فى هذه المسائل اختلف كلامه في هذه المسائل ؛ فمرة قال : الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر ، ومرة قال : الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر ، وعلى كل حال فيجب الحذر من الشرك مطلقًا ؛ لأن العموم يحتمل أن يكون داخلاً فيه الأصغر ؛ لأن قوله (أن يشرك به) ، (أن) وما بعدها في تأويل مصدر تقديره : إشراكًا به ؛ فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم" [٣].

الرأي الذي نصره الشيخ غير صحيح لأمور :

الأول : الشرك فى الآية المقصود منه الشرك الأكبر ، وهو اتخاذ إله أو آلهة مع الله تعالى ، وهو المراد بهذا اللفظ عند الإطلاق ، ومثله الكفر الأكبر : كفر الجحود

---

(١) انظر : شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١ / ١٢٥ ، ١٦٠ ، وجامع العلوم والحكم ص ٤٢ ، وظاهرة الغلو في التكفير للدكتور / يوسف القرضاوى ص ٣٤ ، ٣٥ ، والإيمان للدكتور / محمد نعيم ياسين ص ١٣٦ - ١٤٣ .

(٢) (هل) لا تأتى بعدها أم ، والصواب أن يقول : هل المراد بالشرك هنا الأكبر أو مطلق الشرك ؟

(٣) فتح المجيد مع القول المفيد في شرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص ١٢٧ .

والإنكار ، قال الحافظ ابن حجر (المتوفى ٨٥٢ هـ) عن الشرك فى الآية السابقة : " والمراد بالشرك في هذه الآية الكفر ؛ لأن من جحد نبوة محمد ﷺ مثلاً كان كافرًا ، ولو لم يجعل مع الله إلهًا آخر ، والمغفرة منتفية عنه بلا خلاف " [١] ، وقال في موضع آخر : " عرف الشارع إذا أطلق الشرك إنما يريد به ما يقابل التوحيد ، وقد تكرر هذا اللفظ فى الكتاب والأحاديث حيث لا يراد به إلا ذلك " [٢] .

الثانى : المعاصى يطلق عليها الكفر مجازًا على إرادة كفر النعمة لا كفر الجحد ؛ وهو كفر لا يخرج من الملة خلافًا للخوارج الذين يكفرون بالذنوب ، ونص الآية يرد عليهم ؛ وهو قوله تعالى : (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء) [٣] [النساء ٤٨] ، والحلف بغير الله وما يشبهه من الذنوب التى تسمى مجازًا الشرك ، وهو من الذنوب التى يغفرها الله عز وجل .

الثالث : (أن يشرك به) مصدر مؤول تقديره : الإشراك به ، وليس (إشراكًا به) ؛ لأن المصدر المؤول معرفة يشبه الضمير ، يقول الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة (المتوفى ١٤٠٥ هـ) : " إذا تلا (كان) اسم معرفة ، ثم جاء بعد ذلك المصدر المؤول فالأولى أن يكون المصدر المؤول هو اسم (كان) ؛ لأنه أعرف ، إذ يشبه الضمير ، ولا سبيل إلى تنكيره ... " [٤] ، ويقول أبو حيان (المتوفى ٧٥٤ هـ) فى إعراب قوله تعالى : (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا) [آل عمران ١٤٧] : " وقرأ الجمهور (قولهم) بالنصب على أنه خبر (كان) و (أن قالوا) فى موضع الاسم ، جعلوا ما كان أعرف الاسم ؛ لأن (أن) وصلتها تتنزل منزلة الضمير ، و (قولهم) مضاف للضمير يتنزل منزلة العلم ، وقرأت طائفة منهم حماد بن سلمة عن

---

(١) فتح البارى ١ / ١٠٧ ، وانظر : ظاهرة الغلو فى التكفير للدكتور / يوسف القرضاوى ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) فتح البارى ١ / ٨٣ ، وانظر : الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم للدكتور / يوسف القرضاوى ص ٨٥ .

(٣) انظر : فتح البارى ١ / ١٠٧ .

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ١ / ٤٤٢ .

ابن كثير ، وأبو بكر عن عاصم فيما ذكره المهدوى برفع (قولُهم) جعلوه اسم (كان) والخبر (أن قالوا) والوجهان فصيحان ، وإن كان الأول أكثر " [1] .

ويقول ابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ) فى إعراب قوله تعالى : (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ...) [النور ٥١] :" أقوى القراءتين إعرابًا ما عليه الجماعة من نصب (القول) ؛ وذلك أن فى شرط اسم (كان) وخبرها أن يكون اسمها أعرف من خبرها ، وقوله تعالى : (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أعرف من (قول المؤمنين) ؛ وذلك لشبه (أن) وصلتها بالمضمر من حيث كان لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر ، والمضمر أعرف من (قول المؤمنين) ؛ فلذلك اختارت الجماعة أن تكون (أن) وصلتها اسم كان " [2] .

ويقول العكبرى (المتوفى ٦١٦ هـ) في إعراب قوله تعالى : (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) (البقرة ١٧٧) : " قوله تعالى (ليس البر) يقرأ برفع البرُّ فيكون (أن تولوا) خبر ليس ، وقوى ذلك ؛ لأن الأصل تقديم الفاعل على المفعول ؛ ويقرأ بالنصب على أنه خبر ليس ، و (أن تولوا) اسمها ؛ وقوى ذلك عند من قرأ به ؛ لأن (أن تولوا) أعرف من (البر) ؛ إذ كان كالمضمر في أنه لا يوصف ، و (البر) يوصف .... " [3] .

من الأمور الثلاثة التي ذكرتها يتبين أن الشيخ ابن العثيمين جانبه الصواب في تفسيره الشرك في الآية بمطلق الشرك ، وتقديره المصدر المؤول (أن يشرك به) إشراكًا به ثم ذكر بأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم ، والصواب في ذلك أن الشرك في الآية هو الشرك الأكبر ، والمصدر المؤول تقديره (الإشراك به) .

ثالثًا : الأخذ بظاهر النصوص :

لقد اشترط علماء الشريعة فيمن يتكلم في العلوم الشرعية - سواء أكانت أصولاً أم فروعًا - أمرين :

" *أحدهما* : ألا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيًّا ، أو كالعربي في كونه عارفًا بلسان العرب بالغًا فيه مبالغ العرب ، أو مبالغ الأئمة المتقدمين ؛ كالخليل وسيبويه والكسائى والفراء ومن أشبههم وداناهم ، وليس المراد أن يكون حافظًا كحفظهم ، وجامعًا كجمعهم ، وإنما المراد أن يصير فهمه عربيًّا في الجملة ، وبذلك

---

(١) البحر المحيط ٣ / ٧٥ .

(٢) المحتسب ٢ / ١١٥ ، وانظر : الكشاف ٣ / ٧٢ .

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١ / ٧٧ .

امتاز المتقدمون من علماء العربية على المتأخرين ؛ إذ بهذا المعنى أخذوا أنفسهم حتى صاروا أئمة ، فإن لم يبلغ ذلك فحسبه في فهم معاني القرآن التقليد ، ولا يحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل فيه أهل العلم به ....

والأمر الثاني : أنه إذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية ، فقد يكون إمامًا فيها ، ولكنه يخفى عليه الأمر في بعض الأوقات ، فالأولى في حقه الاحتياط ؛ إذ قد يذهب على العربي المحض بعض المعاني الخاصة حتى يسأل عنها ، وقد نقل شيء من هذا عن الصحابة - وهم العرب - فكيف بغيرهم ! نقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : كنت لا أدرى ما (فاطر السموات والأرض) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ؛ أي أنا ابتدأتها . وفيما يروى عن عمر - رضي الله عنه - أنه سأل وهو على المنبر عن معنى قوله : (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) [1] فأخبره رجل من هذيل : أن التخوف عندهم هو التنقص ، وأشباه ذلك كثير " [2] .

ونظرًا لفقد هذين الشرطين أو أحدهما عند كثير من الذين يخوضون فى العلوم الشرعية ذكر بعضهم أحكامًا مرجوحة أو غير صحيحة أخذًا بظاهر النصوص ، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي :

(١) تحريم مصافحة النساء :

استدل بعض العلماء [3] على تحريم مصافحة النساء بقول النبي ﷺ : " لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له " [4] أخذًا بظاهر المس ، وهذا غير صحيح ؛ لأن المس في الحديث كناية عن الجماع ، قال ابن عباس - رضى الله عنهما - :" إن اللمس والمس والمباشرة الجماع ، ولكن الله يكنى ما شاء بما شاء " [5]، وقال ابن منظور(المتوفى ٧١١ هـ) : " المس : مسك الشيء بيدك ، قال

---

(١) النحل ٤٧ .
(٢) الاعتصام للإمام الشاطبى ٢ / ٤٩٨ ، ٤٩٩ .
(٣) انظر : مجموعة رسائل الشيخ محمد الحامد ص ١٣٩ .
(٤) رواه الطبراني عن معقل بن يسار ح (٤٨٦) ورجاله رجال الصحيح ، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ح (٥٠٤٥) ، وفى السلسلة الصحيحة ح (٢٢٦) ، وصحيح الترغيب ح (١٩١٠) وحسنه في غاية المرام في تصحيح أحاديث الحلال والحرام للشيخ القرضاوى ح (٤٠٣) .
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٥٠٢ .

الله تعالى : (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أن تُمَاسُّوهُنَّ) [١] ، وقرئ : (مِن قَبْلِ أن تَمَسُّوهُنَّ) [٢] ، قال أحمد بن يحيى : اختار بعضهم (ما لم تمسوهن) ، وقال : لأنا وجدنا هذا الحرف في غير موضع من الكتاب بغير ألف (يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) [٣] فكل شيء من هذا الكتاب ، فهو فعل الرجل في باب الغشيان " [٤] ، وقال أيضًا : " والمماسة : كناية عن المباضعة ، وكذلك التماس ، قال تعالى : (مِّن قَبْلِ أن يَتَمَاسَّا) [٥] وفي الحديث : (فأصبت منها دون أن أمسها [٦]) يريد أنه لم يجامعها " [٧] .

ومن الأدلة الحديثية التي تبين جواز المس بمعناه الحقيقي ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس - رضى الله عنه -ح (١٢٨٠٣) قال : " إن كانت الوليدة من ولائد المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما يدع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت " [٨] ، ورواه البخاري بلفظ : " إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت " [٩] .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي عن الحديث : " الذي يظهر أن الحديث ليس نصًا في تحريم المصافحة ؛ لأن المس في لغة القرآن والسنة لا يعني مجرد اتصال البشرة بالبشرة ، إنما معنى المس هنا ما دل عليه قول ترجمان القرآن ابن عباس - رضي الله عنهما - : إن المس واللمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع ؛ فإن الله حيي كريم يكني عما شاء بما شاء " [١٠] .

---

(١) البقرة ٢٣٧ ، وهذه القراءة قرأ بها حمزة والكسائي . انظر : كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٨٤ .

(٢) هذه القراءة قرأ بها ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر . انظر : كتاب السبعة في القراءات ص ١٨٣ .

(٣) آل عمران ٤٧ ، ومريم ٢٠ ، وقال ابن منظور في معناها : " لم يمسسني على جهة تزوج " . لسان العرب [م س س] ٦ / ٤٢٠١ .

(٤) لسان العرب [م س س] ٦ / ٤٢٠١ .

(٥) المجادلة ٣ ، ٤ .

(٦) رواه أبو داود ، كتاب الحدود ، باب في الرجل يصيب المرأة ما دون الجماع فيتوب قبل أن يأخذه الإمام ح (٤٤٦٨) وقال الألباني : حسن صحيح .

(٧) لسان العرب [م س س] ٦ / ٤٢٠١ ، ٤٢٠٢ .

(٨) قال عنه شعيب الأرناؤوط : حديث إسناده ضعيف .

(٩) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب الكبر ح (٦٠٧٢) .

(١٠) كيف نتعامل مع السنة النبوية ص ١٦٣ .

الخلاصة :

الحديث ليس فيه ما يدل على تحريم مجرد المصافحة التي لا تصاحبها شهوة ، ولا تخاف من ورائها فتنة ، خاصة عندما تدعو إليها الحاجة ؛ كقدوم من سفر ، أو شفاء من مرض ، أو خروج من محنة ، ونحو ذلك مما يعرض للناس في حياتهم .

(٢) تكفير المسلمين أخذًا بظاهر النصوص :

يعمد بعض الشباب المتدين إلى تكفير بعض المسلمين أخذًا بظاهر النصوص الشرعية دون تمييز بين استعمالات الشرع المختلفة ، وهذا واقع في المصطلحات (الإيمان والكفر والشرك والنفاق والجاهلية) ، وتوضيحها كالآتي :

(أ) الإيمان : يرد الإيمان فى القرآن والسنة مقصودًا به الإيمان الكامل لا مطلق الإيمان الذي إذا نفى عن صاحبه فقد كفر ؛ فقوله تعالى عن المؤمنين : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ • الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ • أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) (الأنفال ٢ - ٤) " إنما يراد بهم المؤمنون الذين كمل إيمانهم ، وليس المراد من لم يوجل قلبه من ذكر الله أو لم يكن من المتوكلين على الله يكون كافرًا خارجًا عن أصل الإيمان " [١] ، ومثل ذلك قوله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ • إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ • فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ • أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) (المؤمنون ١ - ١٠) فالمراد المؤمن الكامل الإيمان " وليس المعنى أن من لم يخشع فى صلاته أو لم يعرض عن اللغو مثلاً يكون كافرًا ، بل هو مؤمن ناقص الإيمان " [٢] .

وفى الحديث عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : " لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن " رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ح (٥٧) .

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم للدكتور / يوسف القرضاوى ص ٨٤ ، وانظر : أحكام عصاة المؤمنين لابن تيمية ص ٤٧ .

(٢) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص ٨٤ .

يقول الإمام النووي (المتوفى ٦٧٦ هـ) : " هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه ؛ فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه : لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان ، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفى الشيء ، ويراد نفى كماله ومختاره كما يقال : لا علم إلا ما نفع ، ولا مال إلا الإبل ، ولا عيش إلا عيش الآخرة .... إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك ، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم ، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة ، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم ، وأدخلهم الجنة أولاً ، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة .... " [١] .

ومثل هذا الحديث الأحاديث التي حفلت بها كتب السنة ، والتي ظاهرها نفى الإيمان من ذلك :

- عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ح (١٣) .

يقول الإمام الحافظ ابن حجر (المتوفى ٨٥٢ هـ) : " والمراد بالنفي كمال الإيمان ، ونفى اسم الشيء - على معنى نفى الكمال عنه - مستفيض في كلامهم ؛ كقولهم : فلان ليس بإنسان ، فإن قيل : فيلزم أن يكون من حصلت له هذه الخصلة مؤمنًا كاملاً ، وإن لم يأت ببقية الأركان أجيب بأن هذا ورد مورد المبالغة ... وقد صرح ابن حبان من رواية ابن أبى عدى عن حسين المعلم بالمراد ، ولفظه : (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان) ومعنى الحقيقة هنا الكمال ، ضرورة أن من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرًا " [٢] .

- وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم " رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ح (٥٤) .

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢ / ٢٣٣ .
(٢) فتح الباري ١ / ٧٣ .

- وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " فوا الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده " رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ح (١٤) .

- وعن أبى شريح - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : " والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه " رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه ح (٦٠١٦) .

المنفى في الأحاديث السابقة كمال الإيمان لا مطلق الإيمان ، وهذا المعنى يخفى على الشباب الذين يأخذون بظاهر النص ؛ لذا يقعون في تكفير المسلمين .

(ب) الكفر : الكفر نوعان :كفر أكبر ؛ وهو المخرج من الملة ، وكفر أصغر ، وهو ما قيل فيه : كفر دون كفر ؛ وهو ما يطلق على المعاصي مجازًا ؛ وذلك مثل قوله تعالى : (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة ٤٤) " الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملة ، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة ، ويكون كفرًا إما مجازيًا وإما كفرًا أصغر ... وذلك بحسب حال الحاكم ؛ فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب ، وأنه مخير فيه ، أو استهان به بعد تيقنه أنه حكم فهذا كفر أكبر ، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة ، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ، ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًا أو كفرًا أصغر ، وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأ ؛ فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده ، وخطؤه مغفور "[1] .

وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في الآية :" ليس بالكفر الذى يذهبون إليه ، وقد قال طاوس : سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال : هو به كفر ، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقال أيضًا : كفر لا ينقل عن الملة " [2] .

وكذلك الحال في ترك الصلاة ، فقد جاءت أحاديث تكفر تارك الصلاة من ذلك :

- عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة " رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ح (٨٢) .

---

(١) أصول العقيدة الإسلامية التى قررها الإمام الطحاوى ص ١٢٥ ، وانظر : تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد على السايس ٢ / ١٨٤ .

(٢) الصلاة وحكم تاركها لابن قيم الجوزية ص ٣٥ .

- وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك " رواه هبة الله الطبري وقال : إسناده صحيح على شرط مسلم .

يقول الإمام النووي (المتوفى ٦٧٦ هـ) : " أما تارك الصلاة فإن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فيه ؛ فذهب مالك والشافعي - رحمهما الله - والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن ..... " [١] .

والعلماء الذين قالوا بعدم كفر تارك الصلاة تكاسلاً قالوا : " يجب حمل هذه الأحاديث وما شاكلها على كفر النعمة دون كفر الجحود كقوله ﷺ : (من تعلم الرمي ثم تركها فهي نعمة كفرها) [٢] ، وقوله : (لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم) [٣]، وقوله : (تبرؤ من نسب وإن دق كفر بعد إيمان) [٤] ، وقوله : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) [٥] ، وقوله : (من أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد) [٦] ، وقوله : (من حلف بغير الله فقد كفر) [٧] رواه الحاكم في صحيحة بهذا اللفظ ، وقوله : " اثنتان هما بهم كفر : الطعن في الأنساب ، والنياحة على الميت " [٨] ، ونظائر ذلك كثيرة " [٩] .

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢ / ٢٥٤ .
(٢) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي والحث عليه ، وذم من علمه ثم تركه ح (١٩١٩) .
(٣) متفق عليه : رواه البخاري ، كتاب الفرائض ، باب من ادعى إلى غير أبيه ح (٦٧٦٨) ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ح (٦٢) .
(٤) رواه الدارمى ، كتاب الفرائض ، باب من ادعى إلى غير أبيه ح (٢٨٦١) ، وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط البخاري .
(٥) متفق عليه : رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ح (٤٨) ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبي ﷺ : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ح (٦٤) .
(٦) رواه أبو داود ، كتاب الطب ، باب في الكاهن ح (٣٩٠٤) .
(٧) رواه أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه . انظر : نيل الأوطار ٩ / ١٢٢ .
(٨) رواه مسلم ،كتاب الإيمان ،باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة ح (٦٧) .
(٩) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص ٣٤ ، ٣٥ .

(ج) الشرك : الشرك نوعان : شرك أكبر ؛ وهو الذي ينقل عن الملة ، وهو أن يجعل مع الله إلهًا آخر ، ويوصف أهله بأنهم المشركون ، وقد أخبر الله تعالى عن هذا الشرك بأنه لا يغفر قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء) (النساء ٤٨ ، ١١٦) .

والنوع الثاني : هو الشرك الأصغر الذي يطلق على بعض المعاصي التي تنافى كمال التوحيد [١] ؛ مثل : قوله تعالى : " من حلف بغير الله فقد أشرك " رواه أبو داوود ، كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء ح (٣٢٥١) . وقوله تعالي : " إنا لرقى والتمائم والتولة شرك " رواه أحمد ح (٣٦٠٤) ، وأبو داود ، كتاب الطب ح (٣٨٨٣) ، وابن ماجه ، كتاب الطب ح (٣٥٣٠) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٧٢) .

- وقوله تعالى : " من علق تميمة فقد أشرك " رواه أحمد ح (١٦٩٦٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٩٤) .

(د) النفاق : النفاق نوعان : نفاق العقيدة ؛ وهو أن يبطن الكفر ، ويظهر الإسلام ، قال تعالى فيهم : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ • يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ) (البقرة ٨ ، ٩) ، وتوعدهم بقوله : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) (النساء ١٤٥) .

والنوع الثاني : نفاق العمل ؛ وهو الذي جاءت فيه الأحاديث الصحيحة مثل:

- عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان " رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ح (٣٣) .

- وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : " أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر " رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ح (٣٤) .

يقول الإمام النووي (المتوفى ٦٧٦ هـ) : " الذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار : إن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق ، وصاحبها شبيه

(١) انظر : قرة عيون الموحدين للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٦٤ ، ٦٧ .

بالمنافقين في هذه الخصال ، ومتخلق بأخلاقهم .... لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار " [1] ، أي إنه سمى منافقًا مجازًا " أي صاحب هذه الخصال كالمنافق ، وهو بناء على أن المراد بالنفاق نفاق الكفر ، وقد قيل في الجواب عنه : إن المراد بالنفاق نفاق العمل ... وهذا ارتضاه القرطبي واستدل له بقول عمر لحذيفة : هل تعلم في شيئًا من النفاق ؟ فإنه لم يرد بذلك نفاق الكفر ، وإنما أراد نفاق العمل " [2] .

(هـ) الجاهلية : مفهوم الجاهلية " يدور بين الكبائر إذا كان يتعلق بصلب العقيدة ، وبين صغائر المعاصي التي تزل بها قدم المؤمن ؛ كقوله ﷺ للصحابي الجليل أبى ذر : (إنك امرؤ فيك جاهلية) " [3] .

وقد بوب الإمام البخارى في صحيحة لذلك فقال : " باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي ﷺ : (إنك امرؤ فيك جاهلية) وقول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَـا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء) " [4] (النساء ٤٨) .

ويقول الإمام ابن حجر (المتوفى ٨٥٢ هـ) : " الجاهلية ما قبل الإسلام ، وقد يطلق في شخص معين أي في حال جاهليته ... وقوله : (إلا بالشرك) أي إن كل معصية تؤخذ من ترك واجب ، أو فعل محرم فهي من أخلاق الجاهلية ، والشرك من أكبر المعاصي ولهذا استثناه " [5] .

بعد دراسة المصطلحات (الإيمان والكفر والنفاق والجاهلية) يتبين أن من الخطل والخطأ الأخذ بظاهر النصوص الشرعية دون تمييز بين استعمالات الشرع المختلفة ؛ لأن الأخذ بظاهر النص يوقع في خطيئة التكفير ؛ لذا وضع العلماء ضابطًا لتعلم القرآن والعلوم الشرعية فقالوا : لا يؤخذ العلم من صحفي ولا القرآن من مصحفي .

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢ / ٢٣٦ .
(٢) فتح الباري ١ / ١١٣ .
(٣) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص ٨٨ ، والحديث متفق عليه كما فى اللؤلؤ والمرجان ح (١٠٧٧) .
(٤) فتح الباري ١ / ١٠٦ .
(٥) فتح الباري ١ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

رابعًا : اختلاف فى المعنى اللغوى المقصود أدى إلى توجيهات إعرابية مختلفة :

من أمثلة هذا النوع ما وقع من اختلاف بين العلماء في قوله تعالى : (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ) (الأنعام ٣) ، فظاهر الآية يثبت لله عز وجل الجهة والمكان ، يقول الإمام الرازي (المتوفى ٦٠٤ هـ) : " القائلون بأن الله تعالى مختص بالمكان تمسكوا بهذه الآية ، وهو قوله : (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ) وذلك يدل على أن الإله مستقر في السماء قالوا : ويتأكد هذا أيضًا بقوله تعالى : (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أن يَخْسِفَ) (الملك ١٦) قالوا : ولا يلزمنا أن يقال : فيلزم أن يكون في الأرض لقوله تعالى في هذه الآية (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ) وذلك يقتضى حصوله تعالى في المكانين معًا وهو محال ؛ لأنا نقول أجمعنا على أنه ليس بموجود في الأرض ، ولا يلزم من ترك العمل بأحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الآخر من غير دليل فوجب أن يبقى ظاهر قوله : (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ) على ذلك الظاهر ؛ ولأن من القراء [١] من وقف عند قوله : (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ) ثم يبتدئ فيقول : (وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ) والمعنى أنه - سبحانه - يعلم سرائركم الموجودة في الأرض ، فيكون قوله (في الأرض) صلة لقوله (سركم) " [٢] .

وقد وجه العلماء الآية توجيهات إعرابية مختلفة تنزيهًا لله عز وجل " عن الحركة والانتقال وشغل الأمكنة " [٣] ، يقول أبو حيان (المتوفى ٧٥٤ هـ) بعد ذكر توجيهات العلماء للآية " وإنما ذهب أهل العلم إلى هذه التأويلات والخروج عن ظاهر (في السموات وفى الأرض) لما قام عليه دليل العقل من استحالة حلول الله تعالى في الأماكن وممارسة الأجرام ومحاذاته لها وتحيزه في جهة " [٤] .

وتوجيهات العلماء للآية نحويًا كالآتى :

(هو) فيه قولان :

الأول : وهو رأى الجمهور أنه ضمير اسم الله تعالى يعود على ما عادت عليه الضمائر قبله .

---

(١) القارئ هو الكسائى . انظر : البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى ١ / ٣١٣ .
(٢) التفسير الكبير ١٢ / ١٣٤ .
(٣) تفسير القرطبى ٤ / ٢٣٨٧ .
(٤) البحر المحيط ٤ / ٧٣ .

والثاني : أنه ضمير القصة قاله أبو على الفارسي (المتوفى ٣٧٧ هـ) ، وفر إلى هذا ؛ لأنه لو عاد إلى الله لصار التقدير (الله الله) فيتركب الكلام من اسمين متحدين لفظًا ومعنى ليس بينهما نسبة إسنادية ، وهذا لا يجوز [١] .

وإعراب الآية على رأى الجمهور :

(هو) مبتدأ ، و (الله) خبره ، و (في السموات) متعلق بلفظ الجلالة لما تضمنه من معنى العبادة ، كأنه قيل : وهو المعبود في السموات [٢] ، أو " متعلق بمحذوف هو صفة لله تعالى حذفت لفهم المعنى ، فقدره بعضهم : وهو الله المعبود ، وبعضهم : وهو الله المدبر ، وحذف الصفة قليل جدًّا " [٣] .

قال النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) : - وهو أحسن ما قيل - " إن الكلام تم عند قوله : (وهو الله) والمجرور متعلق بمفعول (يعلم) وهو (سركم وجهركم) أى : يعلم سركم وجهركم فيهما " [٤] قال أبو حيان (المتوفى ٧٥٤ هـ) : " وهذا يضعف ؛ لأن فيه تقديم معمول المصدر الموصول عليه " [٥] .

ومنهم من قال : إن الكلام تم عند قوله (وهو الله) ثم استأنف ما بعده ، وتعلق المجرور بيعلم [٦] .

ويرجح أبو حيان الأندلسي أن (في السموات) متعلق بلفظ الجلالة بما تضمنه من معنى الألوهية يقول : " والأولى أن يعمل في المجرور ما تضمنه لفظ (الله) من معنى الألوهية ، وإن كان لفظ (الله) علمًا ؛ لأن الظرف والمجرور قد يعمل فيهما العلم ، بما تضمنه من المعنى كما قال : (أنا أبو المتهال بعضَ الأحيان) فبعض : منصوب بما تضمنه أبو المنهال ، كأنه قال : أنا المشهور بعض الأحيان " [٧] .

والاختلاف المذكور في تأويل الآية مرجعه إلى فهم معنى (الجهة) يقول شارح العقيدة الطحاوية في تفسير لفظ (الجهة) : " وأما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو

---

(١) انظر : البيان فى غريب القرآن ١ / ٣١٣ ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبرى ١ / ٢٣٥ ، والبحر المحيط ٤ / ٧٢ ، والفتوحات الإلهية للعجيلى ٢ / ٤ .
(٢) انظر : معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٢ / ٢٢٨ ، والكشاف للزمخشرى ٢ / ٥ ، والبحر المحيط ٤ / ٧٢ .
(٣) الفتوحات الإلهية ٢ / ٥ .
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣ .
(٥) البحر المحيط ٤ / ٧٣ .
(٦) انظر : البحر المحيط ٤ / ٧٣ ، والفتوحات الإلهية ٢ / ٥ ، ومنار الهدى فى الوقف والابتداع للأشمونى ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٧) البحر المحيط ٤ / ٧٢ .

موجود ، وقد يراد به ما هو معدوم ، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق ، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقا ، والله تعالى لا يحصره شيء ، ولا يحيط به شيء من المخلوقات ، تعالى الله عن ذلك ، وإن أريد بالجهة أمر عدمي ، وهو ما فوق العالم فليس هناك إلا الله وحده ، فإذا قيل : إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح ، ومعناه : أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات ، فهو فوق الجميع عال عليه ، ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفى العلو يذكرون من أدلتهم أن الجهات كلها مخلوقة ، وأنه كان قبل الجهات وأن من قال : إنه في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم ، وأنه كان مستغنيًا عن الجهة ثم صار فيها ، وهذه الألفاظ ونحوها إنما تدل على أنه ليس في شيء من مخلوقاته ، سواء سمى جهة أو لم يسم ، وهذا حق ، ولكن الجهة ليست أمرًا وجوديًا ، بل أمر اعتباري ، ولاشك أن الجهات لا نهاية لها ، وما لا يوجد فيما لا نهاية له فليس بموجود " [1] .

وإذا علم معنى الجهة بأنه أمر عدمى فإن تفسير علو الله - عز وجل - وفوقيته بهذه الصفة " لا يثبت أى تحيز للرب جل جلاله ، وهو الذى يفر منه المؤولون ؛ لأن التحيز من خصائص المادة والجسمية ، وعلماء الفيزياء يعرفون المادة بقولهم : هى كل ما يحتاج إلى فراغ يشغله ، وبهذا يلتقي دعاة الإثبات ، ودعاة التأويل على بساط واحد ، أو على كلمة سواء " [2] .

الخلاصة :

بعد دراسة النماذج السابقة يتبين أن اللغة بفروعها المختلفة لها أهمية كبيرة في فهم العلوم الشرعية ، وأن الانحرافات الفكرية التي تحدث في فهم بعض النصوص الشرعية مرجعها في كثير من الأحيان إلى الفهم اللغوي غير الصحيح ؛ لذا أرى أن تكون اللغة العربية بفروعها المختلفة التي ذكرها علماء الشريعة - مادة أساسية يدرسها طلاب العلوم الشرعية بشرط أن تعد إعدادًا مناسبًا لهم ، مع الإكثار من التطبيقات التي تجمع بين اللغة والعلوم الشرعية .

والله تعالى أعلى وأعلم .

---

(١) أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوى ص ٧٩ .

(٢) فصول فى العقيدة بين السلف والخلف للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٢٥ .

المصادر والمراجع

١ ـ الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى بتحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة / الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٥م .
٢ ـ أحكام عصاة المؤمنين لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ جمع وتقديم / مروان كجك ـ الطبعة الأولى / دار الكلمة الطيبة ـ القاهرة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
٣ ـ إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالي ـ الطبعة الثانية / دار الغد العربي ـ القاهرة ١٩٨٦ م .
٤ ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام الشوكانى ـ الطبعة الأولى / مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .
٥ ـ أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوى مع منتخبات اختارها عبد المنعم صالح العلى العزى ـ الطبعة الأولى / دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .

٦ - الاعتصام للإمام الشاطبى بتحقيق / سيد إبراهيم - طبعة / دار الحديث - القاهرة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .
٧ - إعراب القرآن لأبى جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن النحاس ، الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
٨ - الاقتراح في أصول النحو للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - بتحقيق / طه عبد الرءوف سعد – طبعة / مكتبة الصفا – القاهرة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
٩ - إملاء ما من به الرحمن للعكبرى - الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
١٠ - الإيمان : أركانه - حقيقته - نواقضه للدكتور / محمد نعيم ياسين - طبعة / دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ١٩٨٦ م .
١١ - البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي - الطبعة الثانية / دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
١٢ - البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات بن الأنبارى - بتحقيق د / طه عبد الحميد طه ، ومراجعة / مصطفى السقا - الطبعة الثانية - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ٢٠٠٦ م .
١٣ - تفسير آيات الأحكام للشيخ / محمد على السايس - خرج أحاديثه / وليد بن محمد بن سلامة - الطبعة الأولى / مكتبة الصفا بالقاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
١٤ - تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير - طبعة / مكتبة دار التراث بالقاهرة .
١٥ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي - طبعة دار الريان للتراث بالقاهرة .
١٦ - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام الرازي - حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه / عماد زكى البارودي - طبعة / المكتبة التوفيقية بالقاهرة ٢٠٠٣ م .
١٧ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم للإمام ابن رجب الحنبلي ، قام بتحقيقه وتخريج أحاديثه / أبو عمرو عماد زكى البارودي - طبعة / المكتبة التوفيقية بالقاهرة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
١٨ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم - للشيخ / محمد عبد الخالق عضيمة - طبعة / دار الحديث بالقاهرة .

١٩ ـ دعاة لا قضاة : أبحاث في العقيدة الإسلامية ومنهج الدعوة إلى الله ـ للأستاذ / حسن إسماعيل الهضيبى ـ طبعة / دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

٢٠ ـ شرح صحيح مسلم للإمام النووي ـ خرج أحاديثه / صلاح عويضة ـ وراجعه لغويًا /محمد شحاتة ـ الطبعة الأولى /دار المنار بالقاهرة ١٤١٨ هـ /١٩٩٧م

٢١ ـ الصاحبى لابن فارس ـ بتحقيق / السيد أحمد صقر ـ طبعة / عيسى البابى الحلبي وشركاه ـ القاهرة ١٩٧٧ م .

٢٢ ـ الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ـ بتحقيق د / إميل بديع يعقوب ، والدكتور / محمد نبيل طريفى ـ الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

٢٣ ـ الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ـ للدكتور / يوسف القرضاوى ـ الطبعة الأولى ـ دار الشروق بالقاهرة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .

٢٤ ـ الصلاة وحكم تاركها للإمام ابن قيم الجوزية ـ بتحقيق / محمد محمد تامر ـ طبعة / دار الفجر للتراث بالقاهرة .

٢٥ ـ ظاهرة الغلو في التكفير ـ للدكتور / يوسف القرضاوى ـ طبعة / دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة ١٩٧٨ م .

٢٦ ـ علم اللغة الاجتماعي ـ مدخل للدكتور / كمال محمد بشر ـ الطبعة الثالثة ـ دار غريب بالقاهرة ١٩٩٧ م .

٢٧ ـ غريب القرآن المسمى بنـزهة القلوب للإمام أبى بكر محمد بن عزيز السجستانى ـ الطبعة الثالثة ـ دار الرائد العربي ببيروت ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٢٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى ، بتحقيق الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، وترقيم الأحاديث / لمحمد فؤاد عبد الباقي ـ الطبعة الأولى / دار المنار ـ القاهرة ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م .

٢٩ ـ فتح المجيد مع القول المفيد في شرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام / محمد بن عبد الوهاب ـ شرحه / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ومحمد بن صالح العثيمين ـ الطبعة الأولى ـ دار المستقبل ، ودار الإمام مالك ـ القاهرة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

٣٠ ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ـ للشيخ / سليمان ابن عمر العجيلى الشهير بالجمل ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابى الحلبي .
٣١ ـ فصول في العقيدة بين السلف والخلف ـ للدكتور / يوسف القرضاوى ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .
٣٢ ـ في أصول اللغة : القرارات التي صدرت في الدورات من الثانية والأربعين إلى السابعة والأربعين ، أخرجها وضبطها وعلق عليها / مصطفى حجازي وضاحي عبد الباقي ، الطبعة الأولى / الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٣٣ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادى ـ طبعة / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
٣٤ ـ قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ـ للشيخ / عبد الرحمن ابن حسن آل الشيخ ـ طبعة / أنصار السنة المحمدية ـ لاهور ـ باكستان .
٣٥ ـ كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ـ بتحقيق الدكتور / شوقي ضيف ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
٣٦ ـ الكشاف للإمام الزمخشرى ـ طبعة دار الفكر ببيروت .
٣٧ ـ كيف نتعامل مع السنة النبوية : معالم وضوابط ـ للدكتور / يوسف القرضاوى ـ الطبعة الثالثة ـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
٣٨ ـ لسان العرب لابن منظور ـ طبعة / دار المعارف بالقاهرة .
٣٩ ـ مجموعة رسائل الشيخ محمد الحامد ـ الطبعة الأولى ـ دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م .
٤٠ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ـ بتحقيق / على النجدي ناصف ، والدكتور / عبد الحليم النجار ، والدكتور / عبد الفتاح إسماعيل شلبي ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
٤١ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ـ بتحقيق / محمد أحمد جاد المولى وزميليه ـ طبعة دار الجيل ببيروت .

٤٢ - المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالي - الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي ببيروت ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

٤٣ - المصطلحات الأربعة في القرآن : الإله - الرب - العبادة - الدين للإمام أبى الأعلى المودودى - الطبعة الثانية - دار التراث العربي بالقاهرة ١٤٠ هـ/ ١٩٨٦ م.

٤٤ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج - شرح وتعليق الدكتور / عبد الجليل عبده شلبى - الطبعة الأولى - دار الحديث بالقاهرة ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.

٤٥ - منار الهدى في الوقف والابتدا لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشمونى - علق عليه / شريف أبو العلا العدوى - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م.

٤٦ - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للإمام الشوكانى - طبعة / دار الجيل ببيروت ١٩٧٣ م.

٤٧ - الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة - للدكتور / محمد حسن عبد العزيز - الطبعة الأولى - دار الفكر العربي بالقاهرة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.